

تاريخ الارسال: 2018-03-04

تاريخ القبول: 2018-07-01

تاريخ النشر: 2018/07/30

بنية المقدس في الإسلام وعلاقته بالاختلافات العقائدية

الباحث مشري عز الدين

إشراف: أ.د. بلحسن مباركة

جامعة وهران 2 محمد بن احمد

مقدمة

يعرف دوركايم الدين: "هو تجربة المقدسات، فهو عبارة عن نظام متضامن من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات، أي المنفصلة والممنوعة. إن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد يسمى الكنيسة". [1]] ورغم ما تشكله هذه التجربة من عاطفة فردية ونفسية، قبل أن تكون ظاهرة اجتماعية مشتركة - يضيف دوركايم - "إلا أنها لا تحيا ولا تأخذ جسما إلا في المجتمع، إذ أن احتكاك الفرد بالفرد يزكها وينشرها، ويجعل لها كيانا خاصا مستقلا عن إرادة الفرد. ولا جرم أن المجتمعات الدينية تخضع للأشياء المحرمة أي الممنوعة، ولذا فقد جعل لها شعبة خاصة دعيت بعلم الاجتماع الديني، تبحث عن الدين وقوامه، وتعني به الأساطير والعقائد والطقوس". [2]] وجاء في لسان العرب، (مادة قدس): "القدوس الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص، ونقدس لك أي نظهر أنفسنا لك". [3]]

مفهوم القداسة والتقديس:

و المقدس لا يخرج عن مفهوم " التجلي" الذي صاغه ميرسيا إلياذ، "وهو إظهار لشيء ما من كل آخر، ولحقيقة لا تنتهي إلى عالمنا، في موضوعات تشكل جزءا من عالمنا الطبيعي والديني". [4]] يعني أن القداسة هي معنى مجرد نعطيه للأشياء الدنيوية، فنتخذ بذلك شكلا مغايرا لما في عالمنا المحسوس، إنها القوة الخارقة اللامتناهية ، إنها الإيمان أو التقوى الديني اتجاه ما نعتقده ذو قوة مطلقة، و الذي يتجاوز حدود عالمنا الحسي. ونجد لهذا الإيمان

تعريفا في التصور الإسلامي بأنه " ما وقر في القلب وصدقه العمل" كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم. إن هذا التعريف يعطي تصورا لفهم الدين، حيث يعبر عنه بمجموعة من الأحاسيس والعواطف التي ترتبط بالمقدس، والتي تظهر في ممارسات دينية شعائرية وطقوسية، كالصلاة والزكاة والحج والصيام والأذكار وغيرها.

إن ظاهرة التقديس قديمة، ظهرت مع المجتمعات البدائية. ورغم أن مظاهرها تختلف باختلاف العصور والمجتمعات إلا أن معناها يبقى واحدا تتفاوت درجاته بين المجتمعات من جهة، وبين أفراد المجتمع الواحد من جهة أخرى، هذا التفاوت يظهر من خلال معناها النفسي (ظاهرة التقديس) الذي يمثله الجانب اللاعقلاني من الإنسان، هذا إذا أخذنا بمسلمة عدم تماثل نفسيات البشر، ومنه تفاوت درجات التقوى الديني بينهم. حيث يرى رودلف أوتو " أن الأفكار عن الإله والدين تحددها التجربة الدينية، تلك التجربة التي تقوم على الجانب اللاعقلاني للدين". [5]] وتعد القداسة من الجوانب اللاعقلانية للدين. يقول ميرسيا: "فحجر مقدس يبقى حجرا، وبحسب ظاهره لا يميزه شيء عن الحجارة الأخرى. وبالنسبة لأولئك الذين يتكشف لهم حجر أنه مقدس، تتحول حقيقته مباشرة على العكس لحقيقة مما فوق الطبيعة، وبعبارة أخرى، بالنسبة لمن لديهم تجربة دينية، تبدو الطبيعة برمتها أنها قابلة للتكشف بصفته قداسة كونية، فالكون في كليته يمكن له أن يصبح تجليا قدسيا". [6]]

إن القداسة هي تلك المسافة أو الفضاء الذي نجعله بيننا وبين الأشياء، والتي تشغلها (المسافة) المعاني الروحية، من المحبة والتعظيم والشوق...، في حين أن التدنيس الذي يقابل معنى التقديس، فهو عبارة عن تقليص تلك المسافة أو إفراغها من تلك المعاني الروحية. ونجد في النص القرآني ما يعبر هذا المعنى في قوله تعالى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" سورة الحج، الآية 32. أي أن مظاهر الإيمان تتجلى في تعظيم الشعائر الدينية.

إن كل الديانات، كما هو معروف، لها مقدسات خاصة بمجتمعاتها، والإسلام يعد من الديانات السماوية التي تقوم على شرائع وقوانين دينية تضبط وتحدد علاقة الفرد بالقدس، وتتجلى خصائص نظامه الديني فيما يعتقده أفراد اتجاه المقدسات وما يؤدونه من شعائر وطقوس دينية، حيث تجعل هذه الطقوس الدينية المقدس حيا في المجتمع، متوارثا عبر الأجيال.

الأسطورة الدينية:

إن الإحتفالات والطقوس الدينية تلعب دورا كبيرا في أسطورية الدين، هذه الأسطورة التي تعد مصدر العواطف الروحية والدينية اتجاه المقدس، فهي تعبر عن تاريخ المقدس، وعن المسافة الزمنية التي تفصل الأجيال عن تاريخ مقدساتها. إنها تعبر عن البعد الزمني والمكاني للذات ينتجان عواطف قوية تتسم بالشوق والحنين إلى كل ما يصعب الرجوع إليه. إن هذين البعدين هما اللذان يضيفان إلى الأشياء أكثر قداسة. فدين "الآباء والأجداد" والأرض مصطلحان يحملان في مدلولهما علاقة قداسية تكمن في أسطورية الأولياء والقديسين الذين اتخذت لهم أضرحة ومقامات لتصبح الأرض بهم مقدسة، وتأخذ هي كذلك أسطورة تاريخية، يجعلنا نفسر التضحية من أجل الأرض تفسيراً دينياً، من خلال ما تحمله من معاني روحية مرتبطة بالأسلاف.

التقليد شكل من أشكال للقداسة

إن الزمن والمكان المقدسين هما عنصران اكتسبا أكثر قدرا من العناصر القداسية (الأنبياء، الصالحين، المعجزات، الكرامات، الشعائر والطقوس الدينية). فلذلك ورد في النص القرآني في قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [7]،، يصور النص القرآني صعوبة التخلي عن دين الأجداد، لأنه يمثل أسطورة تاريخية تحمل معنا مقدسا يصعب تغييره. ولعل هذا ما يفسر اختلاف العقائد والمذاهب في الدين الواحد، "و هو من أسباب تقليد السابقين ومحاكاتهم من غير أن ينظر المقلدون نظرة عقلية مجردة، وإن سلطان الأفكار التي اكتسبت قداسة بمرور الأجيال" [8] "تسيطر على القلوب، فتدفع العقول إلى وضع براهين لبيان حسنها وقبح غيرها، وعليه فإن قدسية الآراء التي يقلدها الشخص، تدفعه إلى التعصب لها". [9]

إن من العبارات التي يتداولها الصوفية - كونهم أكثر روحانية وتوظيفا للرمز- في مجال التربية والسلوك الديني: "المعاصرة حجاب"، أي أن الأشياء تبدو عادية عندما تكون قريبة منا رغم قداستها بالنسبة لأشخاص بعيدين، لكن عندما تختفي أو تبتعد تترك أثرا وفراغا نفسيا يجعلها أكثر تعظيما. وهم يقصدون بهذا المعنى أن معاصرة الولي الصالح والعيش معه تحجب عن أتباعه عظمتهم ومكانته الروحية السامية التي توظف معنى البركة توظيفاً كلياً. والبركة هي من معاني القداسة، ويرى يوسف شلحت "أنها تدل على قوة تنبعث من جسم القديس، وتستقر في كل ما يلمسه من ثياب وطعام وأدوات، وتبقى ملازمة لجسمه وعظامه من بعد موته". [10]

خصائص المقدس في الإسلام

إن البحث عن خصائص القداسة في الإسلام يقتضي فهم العلاقات الدينية في المجتمع الإسلامي بمقدساته من جهة، وطبيعة هذه المقدسات التي تلعب دورا في هذه العلاقة من جهة أخرى. إن مجتمعنا يقوم في أداء طقوسه الدينية وشعائره تبعاً لما جاء في النص الديني من الوحي القرآني من جهة، ولما كانت عليه حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم (أعماله وأقواله وتقريراته) من جهة أخرى. تعد هذه المصادر بالنسبة للمسلم هي الأقوى قداسة على الإطلاق، وما يثبت ذلك القيمة الفائقة التي أولاهها المسلمون للعلم الديني من عقيدة (توحيد الله، أو بمعنى تقديس الله وتنزيهه)، وفقه (كيفية أداء وإقامة العبادات والشعائر

صلى الله عليه وسلم يؤمنون بأن القرآن هو وحي إلهي مقدس، و يعتبرونه قانونا إلهيا مقدسا يقوم عليه نظامهم الديني ويخضعون لأوامره. وبما أن القرآن أعطى للنبي صلى الله عليه مكانة روحية عظيمة، فقد كان من أوامر القرآن طاعة ما جاء به النبي من أوامر ونواهي، فاكتمت بذلك حياته قداسة عظيمة، جعلت حياته (أعماله، أقواله، قراراته) تكتسب هي الأخرى صبغة روحية متعالية، وتعظيما كبيرا.

إن بعض الآيات القرآنية عملت دورا كبيرا في توظيف مكانة النبي الروحية في تصورات المؤمنين، رغم أن تلك التصورات "لا تعكس إلا تصورات البيئة العربية للمقدس كما يقول يوسف شلحت"، [[13]] حيث يصف القرآن عصمة النبي المنزه عن الخطأ من جهة، ومن جهة أخرى يصنفه بالمقارنة مع القديسين قبله (الأنبياء والرسل) ويعبر عن رمزيته الكونية بقول الله تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [[14]]، وقول تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [[15]]. هاتين الآيتين - من بين الكثير من الآيات - تعبر عن معاني القداسة، حيث يعبر عنها نص الآية الأولى بالعلاقة القائمة بين الوحي أو القوة الخارقة المطلقة وبين النبي المتلقي له (الوحي)، وكذلك تعبر عن العصمة (التنزيه عن الخطأ) التي تكتسب شخص النبي صفة التسليم لما يقوله أو يفعله دون تأويل. أما نص الآية الثانية فهي تعبر عن الرسالة العالمية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتشير إلى مبدأ الرحمة كونها خلق كفيل بإحلال السلام العالمي، وكفيلة بتوحيد كل العالم حول رسالته. فرسالته ليست بخاصة بالعرب أو بقوم قريش كما جاءت رسالات الأنبياء والرسل قبله، بل اتصفت بالعالمية، وهي خاصية تلعب دورا مهما في إثارة العواطف الإيمانية من خلال ما تعطيه لشخصية العربي المؤمن من السيادة التي تناسب نخوته القبلية.

أ- الصحابة: الجيل المقدس.

إن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم الروحية والمقدسة في النص الديني (القرآن والحديث النبوي)، وفي تصور المؤمنين، لا تتوقف بعلاقته (النبي) بالقوة الإلهية المطلقة التي أكسبته معنى قداسيا متعاليا، بل تستمر في علاقته

الدينية). فقد جاء في القرآن أن من الأركان والركائز التي يقوم عليها الإيمان هي، الإيمان بالله، ملائكته، كتبه، رسله، اليوم الآخر، والقدر خير وشره.

وجاء في القرآن وفي حديث النبي صلى الله عليه كذلك تعظيم للأماكن والأزمنة. هذه العناصر الأخيرة اتسمت بمستويات متباينة من العلاقات الروحية (الإيمان) والعملية (الطقوس والشعائر)، أو بمعنى آخر أنها اكتسبت مستويات مختلفة من القداسة، تقوم على أساس مبدئي البعد والقرب من المقدس من جهة، وتمثلاتها لدى أفراد المجتمع المتدين من جهة أخرى. يقول السيد الأسود "أنه عندما يضاف طابع القداسة للخيال عن طريق ربطه بواقع إيماني ومسام، فإنه يصبح ليس مجرد فكرة أو إيديولوجية، بل حقيقة ماثلة مثل الموضوعات المدركة حسيًا". [[11]] أي أن الدين ينتج عن المجتمع في علاقاته بالمقدس. وسنحاول تفسير طريقة إنتاج المقدس عندنا في المجتمع الإسلامي ووظيفته الأسطورية من خلال شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك من خلال بعض المفاهيم التي تحمل دلالة دينية، ووظيفتها في إنتاج المقدس، كمصطلح البدعة، السيد، الدعاء.

شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم مصدر للقداسة الدينية:

إن النبوة أو الرسالة في معتقدات أصحاب الديانات السماوية هي خاصية يتميز بها أشخاص ليسوا عاديين، فهم يتميزون بصفات روحية خارقة، يفسرها مبدأ تلقي الوحي الذي هو كلام الإله ذو القوة المطلقة اللامتناهية. لذلك تحتل مكانة الأنبياء والرسل قداسة عالية في معتقدات المجتمعات التي تخضع لهم وتؤمن برسالاتهم. فمفهوم القداسة كما يعبر عنها علماء الاجتماع الديني هو العلاقة التي ترتبط بالمقدسات، وأصل هذه المقدسات وتراثها هو القوة المطلقة اللامتناهية (الله). "إن الإسلام والجماعات الدينية لا يمكن فهمها - كما قال غيرتز - بدون العلماء وبدون النبي محمد صلى الله عليه وسلم". [[12]] ففهم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، والمكانة التي يحظى بها في نفوس المؤمنين ما هي إلا تجلي لمظاهر القداسة ومصادرها الروحية والاجتماعية. فالمؤمنون برسالة محمد

يلونهم ثم يحيى أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمنه شهادته".[[17]]

الاحتفال بالمقدس (مولد النبي صلى الله عليه وسلم) ودوره في أسطورة الدين:

يقول يوسف شلحت: " إن الفكر الشعبي قد جذبه صورة المؤسس الأول، وأشغلت معجزاته جميع حواسه، فجعل لكل ورسول أحاديث خاصة يرويها ويعظمها، ويزيدها خيالا على خيال، فغدت في مصاف الأساطير".[[18]] إن وظيفة الاحتفالات الدينية في المجتمع هي ترسيخ لمعاني المقدس في معتقدات أفراد، وتجديد لعهد، وكذلك تؤدي إلى زيادة الروابط الاجتماعية والدينية بين أفراد جماعته المؤمنة، يقول دوركايم: " إن الدين يتسم بممارسات تبعث في جماعته المؤمنة عاطفة دينية خاصة، تسمو عن كل العواطف الأخرى (الوطنية...)، وتوحد بين أفرادها. حيث أن للروابط الدينية قدرة على تجاوز القوى الشخصية والمتنافرة".[[19]]

إن الاحتفالات الدينية في مجتمعنا تكتسب معان دينية خاصة، هذه المعاني تساعد على فهم وتفسير نشأة المقدس وحياته عبر التاريخ. إن من أهم الاحتفالات الدينية في مجتمعنا الجزائري، هي الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، لما يحظى من مكانة سامية في نفوس المؤمنين، وقد فسرنا سالفاً طبيعة تلك المكانة الدينية. إن الاحتفال بالنبي صلى الله عليه وسلم يمثل في ذاته وظيفة الأسطورة في إنتاج المقدس، ومن خصائص هذه الأسطورة - كما أشار يوسف شلحت- أنها تصورات اجتماعية تعبر عن أحوال الناس في أزمنة مختلفة، وهي تلعب وظائف دينية محضة. [[20]] ويعرفها بأنها : " مجموعة من تخیلات وتصورات عن الآلهة والدينا، وعن علاقة الفرد بالمجتمع والطبيعة وما وراء الطبيعة، عبر عنها الإنسان بلغة شعرية، يمدّها خيال قوي وثّاب، يجمع بأصحابه وينتقل بهم من القريب إلى البعيد، ومن الواقع إلى ما حقيقة له، فتتجسم الحوادث وتكبر، ثم تتضخم، حتى لا يكاد يعرف لها أصل، أو يدرك لها تأويل".[[21]]

إن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ما هو إلا إحياء لتاريخ المقدس، وجعله ماثلاً في صورة جماعية

بالمؤمنين المجتمعين حوله، أين تنتقل إليهم تلك المعاني الرمزية المقدسة. إن مصطلح "الصحابة" مشتق من الصحبة، ويشير إلى أولئك الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وشهدوا معه مواقف عديدة. ورغم أن هناك من يفسر مصطلح (الصحبة) بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن مدلولها أصبح يأخذ طابعا دينيا اجتماعيا مقدسا أضيف إلى الصحابة، وهذا يفسر علاقة القرب والبعد من المقدس (النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم) من جهة، ومن جهة أخرى أخذ مفهوم الصحابة معنى مقدسا من خلال ذكرهم ووصفهم في الكتاب المقدس في قوله تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" سورة الفتح الآية 29، وقال صلى الله عليه وسلم: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "[16]]. وهنا يُوظَّف مفهوم التعالي والإشعاع النوراني بتوظيف النبي صلى الله عليه وسلم لكلمة " النجوم " في وصف أصحابه، وهو توظيف لرمزية المقدس. ويوظف مفهوم " الصحبة " كذلك كتمييز بين الأجيال المعاصرة له والأجيال اللاحقة.

إن النبي صلى الله عليه وسلم وظف أسطورة الأجيال الزمنية بتفضيله بين هذه الأجيال أين أخذت تراتبية مقدسة، حيث فضل جيل الصحابة على باقي الأجيال، ثم فضل من بين أصحابه أولئك الذين شهدوا معه غزوة بدر، والسبب في ذلك أن هذه الغزوة تعبر عن المرحلة الأولى لظهور دين التوحيد، وتعبر كذلك عن ذروة الصراع بين المقدسات، بين عبادة الأوثان وعبادة الإله الواحد. إن " الصحبة " - كما أسلفنا الذكر - هي مرتبة دينية أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، حيث يحرم الطعن في أصحابه، أو بالمعنى السوسيولوجي يمنع تدنيس المرتبة الطاهرة التي أكسبهم إياها. بل أكثر من ذلك فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم لحياته ولعصره قداسة خاصة، حيث يتم تحديد درجات القداسة انطلاقاً من القرب أو البعد عن عصره، أو بمعنى آخر إعطاء مراتب قداسية يحددها القرب أو البعد من المقدس، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

فأصحاب الاعتقاد السلفي يوظفون مثل هذين النصين في معارضتهما لأسطورة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقدر ما يدعون بموقفهم هذا إلى العودة إلى دين نقي طاهر من الخرافات والأساطير، بقدر ما ينزعون معنى القداسة الدينية عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش دون معنى ديني أسطوري يجعل الدين ماثلاً مثله مثل الأشياء المدركة حسيًا، ومثال ذلك أن المؤمنين من أفراد المجتمع يفضلون في دروس الوعظ الديني سيرة الأنبياء والرجال العظماء والصالحين، مما يعني أنهم يحتاجون إلى الأسطورة في إعادة إنتاج الدين والمقدس.

ويعتقد أصحاب الإنجاه الروحي الصوفي في المولد النبوي اعتقاداً كبيراً، ويظهرون فيه علامات السعادة والفرح بميلاد مخلصهم، ويقدمون دليل الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه من قول الله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [28]، وقوله تعالى: { فَأَلْذِنَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [29]، والتعزير هو التعظيم، و يغالي هذا الاتجاه الديني في ظاهرة التقديس مما يزيد من إنتاج الرموز الدينية، وهو ما يفسر الروحية العالية التي يتميز بها أنصار هذا الاتجاه الديني. وعملية إنتاج هذه المعاني يجعل الفرد يعيش في حدود المقدسات، وبالتالي تضيق لحدود الدينوي. يغلب على أنصار الاتجاه الشعبي الصوفي مفهوم " السيادة"، وجاءت في لسان العرب بمعان مختلفة، وسنكتفي هنا بدلالاتها الدينية وهي التعظيم. حيث طالما سيطر هذا الإتجاه الديني في الأوساط الشعبية منذ عشرات القرون، و ساد في سلوكيات الأفراد و في كلامهم معاني التعظيم و التبجيل للأنبياء والرسول والأولياء الصالحين، حيث لا يذكر اسم نبي أو صالح إلا ويلحق بلفظ " سيدي"، وهي ترمز إلى المكانة السامية التي تستلزم معنى الخضوع والتبعية للحصول على النفع والبركة ممن يسودونهم. إن توظيف مثل هذه الألفاظ في الأوساط الدينية والاجتماعية أصبح يلقي معارضة دينية من قبل الاتجاه السلفي الإصلاحية، حيث يرى أن السيادة لا تليق إلا

تشتك في معنى الشوق والحنين إليه، وكلما بعد زمان المقدس كلما عظم في مخيال أتباعه. إن البعد الزمني – كما أشرنا إليه سالفاً – يعطي للمقدس معنى زائداً عن معناه الحقيقي. إن القصائد التي تنظم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عرفت تزايداً بعد وفاته أكثر مما نظمت في زمانه، رغم ما في زمانه من كثرة الشعراء والناظمين. يقول غويو: " لا يكون الإنسان ذا دين إلا إذا وضع فوق المجتمع الذي هو فيه مجتمعا آخر أكثر قوة وأعظم شأنًا من الأول". [22]

التصورات الدينية للمقدس وعلاقاتها باختلاف الممارسات الدينية:

أدى الإحتفال بمثل هذه المناسبات في مجتمعا، كغيرها من المجتمعات الإسلامية الأخرى، إلى ظهور اتجاهات دينية وعقائدية مختلفة، كل منها له موقف وتصور ديني اتجاه هذه الإحتفالات، أو بأحرى اتجاه المقدس، حيث يتقاسم مجتمعا اتجاهين دينيين بارزين – دون إهمال الاتجاهات غير المؤثرة – يتنافسان على احتلال الفضاء الديني المقدس: اتجاه تغلب عليه النزعة الروحية الباطنية التأويلية (الإسلام الصوفي)، واتجاه ثان تغلب عليه النزعة الظاهرية، وتعتمد ظاهر النصوص الدينية النقلية. ويوظف كلا من الاتجاهين مفاهيم دينية خاصة تميز فكره ومنهجه الديني.

يرى أنصار الاعتقاد السلفي الإصلاحية أن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم هو من البدع الضالة التي لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحابته، وجاءت البدعة في لسان العرب بأنها: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الكمال [23]، والضلال من ضل أي ضاع، والضلال ضد الهدى والرشاد. [24] يستندون في ذلك إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [25]، والضلالة عندهم لا تقبل التقسيم إلى بدعة ضالة وبدعة حسنة رغم ما يتوفر من أدلة على تقسيمها. كقول عمر بن الخطاب: " نعمت البدعة" [26]، أي حسنة. والحديث الثاني قوله: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله"، [27] والإطراء هو المدح،

بمقام الألوهية، ولا تليق بأحد من البشر حتى ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم، ويرون أن هذا يدخل ضمن الإطراء الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، ويصرون على موقفهم هذا رغم أن القرآن نصّ في آيات كثيرة أن هذه اللفظ يليق بوصف البشر، كقوله تعالى في حق النبي زكريا عليه السلام: { وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } [[30]]، وقوله تعالى: { وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ } [[31]]، وألفيا تعني وجدا زوجها عند الباب. بل يرى أنصار الاتجاه الشعبي الصوفي بأنها من البدع الحسنة.

وتتجلى مظاهر الصراع بين هذين الاتجاهين في مسائل دينية وعقائدية كثيرة كالدعاء، فهو يعد من الممارسات الدينية والعقائدية التي تظهر معنى الخضوع والعجز اتجاه المقدس (الإله)، إلا أن ممارساته الاجتماعية أصبحت هي الأخرى تخضع لأحكام التحريم، ويطلق عليها مفهوم البدعة. إن رفع الأيدي إلى السماء والتوجه بها في الدعاء تحمل معنى العبودية والإفتقار إلى قوة روحية خارقة يسند ضعف الإنسان إليها لتحقيق له ذاك السلام الداخلي والإحساس بالأمان، وهو (الدعاء) أحد مظاهر العبادة التي تفسر العلاقة بالمقدس. إن أنصار الاتجاه السلفي أصبحوا يحكمون على تلك الهيئة من رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء بأنها بدعة ضالة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، رغم الأدلة التي أتت بها الاتجاه المعارض بأنها مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن طلب الدعاء من أحد المؤمنين لاعتقاد الصلاح فيهم وقبول دعائهم هي بالنسبة إليهم نوع من الإشراك مع الله، حيث أن الله لا يحب الوسائط لتصله دعوات عباده. وموقفهم هذا إنما هو نزاع لروح القداسة التي تشكل جوهر الدين، حيث تعمل على قطع العلاقة بين الأفراد ومعنى البركة التي يعتقدونها في الصلحاء. وموقفهم هذا في نفس الوقت هو محاولة لتطهير المقدس من الشريك حتى تتحقق وحدانيته، فلذا تختلف العقائد باختلاف التصورات حول المقدس.

خاتمة:

إن هذه الاختلافات الدينية، واعتمادها على مناهج تأويلية مختلفة للنصوص الدينية، إنما هو اختلاف في النفسانيات

من جهة حيث أن كل فرد يختار من الاتجاهات الدينية ما يناسب طبيعته النفسية ورغباته. قال اسبينوزا: "إن الرغبة هي التي ترينا الأشياء مليحة، لا بصيرتنا". وقال وليم جيمس: "إن تاريخ الفلسفة هو تاريخ التصادم بين الأمزجة البشرية، وهذا الاختلاف بين الأمزجة له أيضا شأنه في ميدان الأدب والفن والحكمة". وكذلك من أسباب هذه الاختلافات الدينية، الاختلاف في الاتجاه، حيث يتجه أفراد المجتمع إلى تفكير يناسب اتجاههم، ومنه تصبح آراؤهم سائرة في هذا الاتجاه. [[32]] أي تخدم مصالح اتجاههم. ورغم ما توظفه الاتجاهات الدينية من أفكار ومناهج ومواقف اتجاه المقدسات، إلا أنها تتوظف كإيديولوجية لخدمة مصالح مختلفة، دينية سياسية، اقتصادية...، فالمقدس يبقى كرهان اجتماعي يكتسي طابعا اجتماعيا يختلف باختلاف المجتمعات وأهدافها. وهنا يتفق علماء الاجتماع الديني حول التجربة الدينية التي تحيا وتكتسي مختلف الأشكال في المجتمع. و يرى ذلك جاكين شاييفر أن الفرق الدينية عموما لم تأتي من محض الصدفة، وإنما هي تجميع لمختلف الأحداث الاجتماعية عن طريق فاعلين اجتماعيين توجههم إيديولوجياتهم، مصالحهم، واستراتيجياتهم السياسية والاقتصادية وعلاقات قوة. [[33]]

قائمة المصادر والمراجع:

[1] Emile Durkeime, *les formes élémentaires de la vie religieuse : le système Totémique en Australie*, Presses universitaires de France, 4 Ed, Paris, 1960, 61.

[2] يوسف شلحت، *نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الأديان (الطوطمية، اليهودية، النصرانية، الإسلام)*، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2003، ص 44-45

[3] ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، مادة (قدس).

[4] مرسيا إلياد، *المقدس والمقدس*، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1988، ص 17-16.

[5] مرسيا إلياد، نفس المرجع، ص 15.

- [6] مرسيا إلياد، نفس المرجع، ص 17.
- [7] سورة البقرة، الآية 170.
- [8] محمد أبو زهرة، *تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 09.*
- [9] محمد أبو زهرة، نفس المرجع، ص 09.
- [10] يوسف شلحت، *نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الأديان، مرجع سابق، ص 63.*
- [11] السيد الأسود، *الدين والتصور الشعبي للكون: سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 251.*
- [12] كليفود جيرتز، *الإسلام من وجهة نظر الإناسة: التطور الديني في المغرب وأندونيسيا، تر: أبو بكر أحمد با قادر، دار المنتخب العربي، بيروت، ط 1، 1993، ص 15.*
- [13] يوسف شلحت، *بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1996، ص 05.*
- [14] سورة النجم، الآية 3-4.
- [15] سورة الأنبياء، الآية 107.
- [16] ابن حجر، *الألمالي المطلقة، ص 60.*
- [17] البخاري (2652)
- [18] يوسف شلحت، *نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الأديان، مرجع سابق، ص 70.*
- [19] Richard T. Schaefer, *sociology*, Mc Graw-Hill companies, New York, 8th edition, 2003, p 384.
- [20] يوسف شلحت، *نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الأديان، مرجع سابق، ص 86.*
- [21] يوسف شلحت، نفس المرجع، ص 85.
- [22] يوسف شلحت، نفس المرجع، ص 85.
- [23] ابن منظور، *لسان العرب، مادة (بدع)*
- [24] ابن منظور، *مادة (ضلل).*
- [25] أبو داود (4067)
- [26] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، باب ما جاء في قيام رمضان، ص 417.
- [27] البخاري، 425.
- [28] سورة الفتح، الآية 09.
- [29] سورة الأعراف، الآية 157.
- [30] سورة آل عمران، الآية 39.
- [31] سورة يوسف، الآية 25.
- [32] محمد أبو زهرة، *تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص 08.*
- [33] Paul Denis ; Jacqueline Schaeffer ; *Sectes ; SARP ; 1ed ; Paris ; 1999 ; p 39.*